﴿عذاب الله تعالى القادر على كلّ شيء يصيب قوم لوطٍ وشعيبٍ وصالحٍ عليهم السّلام﴾
الآيات (٤٩ - ٨٤)

نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾

تتحدّث أولى الآيتين الكريمتين عن صفتين من صفات الله تعالى العلى تتجلّيان في اسمين من أسمائه جلّ وعلا الحسنى : ﴿ الغفور الرّحيم ﴾ ومعروفٌ أنّ المغفرة يسبقها ذنب ، فالله سبحانه وتعالى هو الغفور . ويلاحظ أنّ هذه الصّفة تجيء في صيغة المبالغة : فعول . ومعروفٌ كذلك أنّ الرّحمة مزيد فضلٍ من الله تعالى الّذى وسعت رحمته كلّ شيءٍ وسبقت غضبه جلّ وعلا وعذابه . ويلاحظ كذلك أنّ هذه الصّفة تجيء في صيغة المبالغة فعيل . ومن البيّن أنّ الخطاب في الآية الكريمة للمصطفى صلّى الله عليه وسلّم . إنّ ربّ العزّة يأمر حبيبه صلّى الله عليه وسلّم أن ينبّىء عباده جلّ وعلا بأنّه عزّ وجلّ هو الغفور لذنوب عباده الرّحيم بهم حينما قبل توبتهم وعفا عن سيّئاتهم وغفر ذنوبهم وبدّل سيّئاتهم حسنات .

وبشأن القول : ﴿«نبّىء»﴾ من المعروف أنّ النّبأ هو نوعٌ معيّنٌ من الأخبار على درجةٍ كبيرةٍ من الأهمّيّة .

وبشأن القول : ﴿عبادى﴾ يلاحظ الإضافة الّتى تفيد التّشريف لعباد الله تعالى عباد الرّحمن . ويتضّح المعنى الجميل للفظ العباد حينما نتبيّن أنّ الحديث عنهم في القرآن الكريم في معرض الرّضا عنهم والثّناء عليهم دائماً . وإنّ هذه الخصوصيّة لعباد الله تعالى في القرآن الكريم تحملنا على تبيين بعض الفروق المعنويّة الدّقيقة بين العبيد والعباد . وإنّ هذه الغاية تحملنا على أن نقف على أهمّ صفات صيغة المفرد عبد ، وأن نتبيّن متى يقال عبيد الله وعباد الله .

من المعروف أنّ من معانى لفظ العبد الإيجاد من العدم . فكلّنا بهذا المعنى عبيدٌ لله تعالى . ومن المعروف كذلك أنّ من معانى لفظ العبد الاجتهاد في الخدمة والعمل . وهذا الاجتهاد في الخدمة قد يكون لغرضٍ رخيص كعبد الدّنيا المعتكف على خدمتها ومراعاتها وإيّاه عنى المصطفى صلّى الله عليه وسلّم بالقول : تعس عبد الدّرهم ، تعس عبد الدّينار . ويقال عن هؤلاء إنّهم عبيد الله تعالى بمعنى أنّه جلّ وعلا موجدهم من العدم رغم أنّهم عبيدٌ للدّنيا . وقد يكون الاجتهاد في الخدمة لغرضٍ شريف تتجلّى أسمى صوره وأسناها في إخلاص العبادة لله تعالى وحده لا شريك له وبذلك يحقّق العبد الهدف الّذى خلقه الله تعالى من أجله في قوله عزّ من قائل[1] : ﴿ وما خلقت الجنّ

---

(١) سورة الذّاريات ٥٦ .

والإنس إلاّ ليعبدون ﴾ وإنّ جمع المفرد لهذا الجنس من النّاس عبيد فيقال عبيد الله بمعنى أنّهم الّذين أوجدهم الله تعالى وأفردوه جلّ وعلا بالعبادة ، كما أنّ الجمع الآخر لهذا المفرد عباد فيقال عباد الله ، بمعنى أنّهم الّذين عبدو الله تعالى وأخلصوا العبادة لله تعالى وحده لا شريك له . وبذلك يكون لفظ العباد راعى معنى العبادة في المقام الأوّل ، ويندرج تحت هذا المعنى ما قبله من معانى الإيجاد من العدم والاجتهاد في الخدمة وعبادة الله تعالى . وبهذا يتبيّن أنّ الجمع عباد أخصّ من الجمع عبيد ، كما يتبيّن أنّنا بصدد دليلٍ على أنّ لفظ العباد يستعمل في القرآن الكريم في معرض الثّناء على هؤلاء العباد[1] .

وبشأن القول : ﴿الغفور الرّحيم﴾ من المعروف أنّ ثمّة مرحلةً تسبق الغفران من الله تعالى والمغفرة وهى مرحلة العفو بمعنى ترك المؤاخذة على الذّنب . وبناءً على مرحلة العفو بمعنى التّرك تأتى مرحلة الغفران والمغفرة بمعنى ستر الذّنب وعدم إعلانه وهذه مرحلةٌ أفضل من السّابقة لأنّها تشتمل عليها وزيادة السّتر . وبناءً على مرحلة الغفران والمغفرة تأتى مرحلة الرّحمة أفضل المراحل الثّلاث لأنّها تشتمل على الترك والسّتر وزيادة الرّحمة الواسعة من البرّ الرّحيم الّذى وسعت رحمته كلّ شيء .

وإذا كانت الآية الكريمة الأولى تتحدّث عن مغفرة الله تعالى ذنوب عباده الّذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلاّ اللّمَم وعن رحمته جلّ وعلا بهم فإنّ الآية الكريمة الأخرى تتحدّث عن عذاب الله تعالى الأليم للكافرين المستهزئين المصرّين على الكفر وعلى ارتكاب الذّنوب والآثام . وفي النّصّ على العذاب الأليم إيماءٌ إلى الثّواب العظيم .

ومن البيّن أنّ من وسائل الرّبط بين أجزاء الكلام التقابل في الصّفات وأنّ كلًّا من الآيتين الكريمتين تتحدّث عن فريقٍ مخالفٍ للآخر في الصّفات .

---

(١) انظر هنا ـ مثلاً ـ مفردات الرّاغب الأصفهانى : «عبد» ٣١٩ .

وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾
إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟
لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن
مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ
فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ
رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾

ونبّئهم عن ضيف إبراهيم : هم ملائكة منهم جبريل[1] والضّيف يُطْلَق على الواحد والجمع كالزّور[2] والسّفر[3] وأصل الضّيف مصدر ، ولذلك استوى فيه الواحد والجمع في عامّة كلامهم . وقد يُجْمَع فيقال أضياف وضُيوف وضِيفان[4] .

وجلون : خائفون[5]

لا توجل : لا تخف[6]

إنّا نبشّرك بغلام عليم : أي إسحاق عليه السّلام كما تقدّم في سورة هود[7] .

قال أبشّرتموني على أن مسّني الكبر : معناه لأن مسّني الكبر وبأن مسّني الكبر. وهو نحو قوله : حقيقٌ على ألاّ أقول على الله إلاّ الحقّ ، بمعنى بألاّ أقول[8]

قال ومن يقنط من رحمة ربّه : ومن ييأس من رحمة الله[9]

---

(١) الجلالين وتفسير الطّبرى ١٤/٢٧ .

(٢) انظر ـ مثلاً ـ مفردات الرّاغب الأصفهانى : «ضيف» ٣٠٠ والقاموس المحيط : «ضيف» و«زور» .

(٣) تفسير ابن كثير ٢/٥٥٤ وانظر تفسير الطّبرى ١٤/٢٧ .

(٤) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «ضيف» ٣٠٠ .

(٥) تفسير الطّبرى ١٤/٢٧ .

(٦) تفسير الطّبرى ١٤/٢٧ وتفسير ابن كثير ٢/٥٥٤ .

(٧) تفسير ابن كثير ٢/٥٥٤ والمراد الآية الكريمة الحادية والسّبعون من سورة هود .

(٨) تفسير الطّبرى ١٤/٢٨ .

(٩) تفسير الطّبرى ١٤/٢٨ .

نستطيع أن ننظر إلى هذه الآيات الكريمات من سورة الحِجْر في ضوء هذه الآيات الكريمات من سورة هود[1] قال تعالى : ﴿ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبُشْرَى قالوا سلاماً قال سلامٌ فما لبث أن جاء بعجلٍ حنيذ . فلمّا رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفةً قالوا لا تخف إنّا أُرْسِلْنا إلى قوم لوط . وامرأَتُهُ قائمةٌ فضحكت فبشّرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب . قالت ياويلتا أألد وأنا عجوزٌ وهذا بعلي شيخاً . إنّ هذا الشيءٌ عجيب . قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنّه حميدٌ مجيد ﴾.

وفي ضوء التّفصيل في آيات سورة هود نستطيع أن نفهم آيات سورة الحجر على النّحو الآتي . والله أعلم . تأمر الآية الكريمة الأولى المعطوفة على الآية الكريمة الأولى في القسم تأمر المصطفى صلّى الله عليه وسلّم أن ينبّىء عباد الله تعالى المخلَصين ، باعتبارهم المستفيدين حقّاً من هذه الدّروس القرآنيّة ، أن ينبّئهم عن ضيف إبراهيم عليه السّلام من الملائكة الكرام وفيهم جبريل عليه السّلام . وإبراهيم عليه السّلام أبو الأنبياء . وهؤلاء الملائكة الكرام أرسلهم الله تعالى بعذاب قوم لوطٍ عليه السّلام ابن أخي إبراهيم عليه السّلام وقد اصطفاه الله تعالى بالنّبوّة كما اصطفى إبراهيم عليه السّلام . ومعروفٌ أنّ قوم لوطٍ عليه السّلام كانوا يأتون الذّكران من العالمين ويذرون ما خلق الله تعالى لهم من زوجاتٍ طاهرات . وقد جاء الملائكة الكرام في صورة شبّان مردٍ جميلي الهيئة مرّوا بإبراهيم عليه السّلام أوّلاً وبلوطٍ عليه السّلام آخراً . وتجاه إصرارهم على إتيان الشّبّان المرد ظاهراً الملائكة حقيقةً سيء لوطٌ عليه السّلام على نحو ما ستذكر الآيات الكريمات لاحقاً .

والآية الكريمة الثّانية تُبَيّن أنّ الملائكة الكرام دخلوا على إبراهيم عليه السّلام فألقوا عليه السّلام بمعنى الأمن والطّمأنينة فردّ عليهم السّلام على نحو ما تبيّن من آيات سورة هود ، كما تُبيّن أنّ إبراهيم عليه السّلام قال للملائكة الكرام : ﴿ إنّا منكم وجلون ﴾ وقد بيّنت آيات سورة هود السّبب في خوف إبراهيم عليه السّلام وآله من ضيوفه وهو أنّهم لم يمدّوا أيديهم لتناول العجل الحنيذ السّمين الّذي قدّمه عليه السّلام لهم لأنّ عدم تناول الضّيف الطّعام دليلٌ على أنّه عدوّ لدود ولم يكن إبراهيم عليه السّلام يعلم آنذاك أنّهم ملائكةٌ لا يأكلون الطّعام أساساً . وتبيّن آيات سورة هود الحوار الّذي

---

(١) الآيات ٦٩ - ٧٣ .

دار بين إبراهيم عليه السّلام والملائكة الكرام وفهم منه عليه السّلام أنّهم جاءوا من أجل إنزال العذاب بقوم لوطٍ عليه السّلام .

وفي الآية الكريمة الثّالثة ينهى الملائكة الكرام إبراهيم عليه السّلام أن يخاف منهم وبشّروه بغلامٍ عليمٍ هو إسحاق عليه السّلام الّذى أكرمه الله تعالى بالنّبوّة وبالعلم اللّدنيّ . والمعروف أنّ كل أنبياء بنى إسرائيل من ذرّيّة إسحاق بن إبراهيم عليهما السّلام عن طريق يعقوب بن إسحاق عليهما السّلام . وليعقوب عليه السّلام اسمٌ آخر هو إسرائيل . والمعروف كذلك أنّ محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم الرّسول النّبيّ العربيّ الكنانيّ القرشيّ الهاشميّ هو النّبيّ الوحيد من ذرّيّة إسماعيل بن إبراهيم عليهما السّلام .

وفي الآية الكريمة الرّابعة يتعجّب إبراهيم عليه السّلام في أسلوب الاستفهام من إنجابهما الولد رغم كونهما زوجين متأخّرين فى السّنّ ، وفي الوقت ذاته يريد أن يتحقّق إبراهيم عليه السّلام من هذه البشارة على ألسنة الملائكة فلا يعجز الله تعالى شيءٌ في الأرض ولا فى السّماء ومن ذلك أن يجعل منه وهو الشّيخ الكبير ومن زوجه وهي العجوز العقيم شخصين قادرين على الإنجاب .

وفي الآية الكريمة الخامسة يبيّن الملائكة الكرام لإبراهيم عليه السّلام أنّهم يبشّرونه بالحقّ وبالصّدق فعليه صلّى الله عليه وسلّم ألّا يكون من القانطين من رَوْح الله تعالى اليائسين من رحمته جلّ وعلا .

وفي الآية الكريمة السّادسة يبيّن إبراهيم عليه السّلام للملائكة أنّه عليه السّلام ليس قانطاً من رحمة الله تعالى فإنّ الّذين يقنطون من رحمة الله تعالى هم القوم الضّالون عن السّبيل وحدهم دون سواهم من المهتدين فكيف بأبي الأنبياء والمرسلين إبراهيم عليه السّلام .

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾

قال فما خطبكم : قال إبراهيم للملائكة فما شأنكم ما أمركم أيّها المرسلون[1]

(١) تفسير الطّبرى ١٤/٢٨ .

إلاّ آل لوط : إلاّ تُبّاع لوطٍ على ما هو عليه من الدّين[1]
قدّرنا إنّها لمن الغابرين : قضى الله فيها أنّها لمن الباقين[2] في العذاب[3]

بعد أن جاءت البشرى إبراهيم عليه السّلام تبيّن عليه السّلام أنّ ثمّة أمراً جللاً وراء البشرى الّتى لا تحتاج إلى كلّ هذه الكوكبة من وفد الملائكة الكرام فسأل عليه السّلام الملائكة الكرام عن خطبهم والشّأن الخطير الّذى جاءوا من أجله وراء البشرى ﴿ قالوا إنّا أرسلنا إلى قومٍ مجرمين ﴾ جمعوا بين التّكذيب وإتيان الذّكران من العالمين ، وهم قوم لوطٍ عليه السّلام . ويستثنى السّياق من الهلاك آل لوطٍ عليه السّلام والّذين هم على دينه عليه السّلام باستثناء امرأة لوطٍ عليه السّلام الّتى قضى الله تعالى أن تكون من الباقين في العذاب لكفرها .

وإنّ إبراهيم عليه السّلام الحليم الأوّاه المنيب ليجادل في قوم لوطٍ عليه السّلام على نحو ما يتبيّن من قول الحقّ جلّ وعلا في سورة هود[4] : ﴿ فلمّا ذهب عن إبراهيم الرَّوْعُ وجاءته البُشْرى يجادلنا في قوم لوط . أنّ إبراهيم لحليمٌ أوّاه منيب . ياإبراهيم أَعْرِض عن هذا إنّه قد جاء أمر ربّك وإنّهم آتيهم عذابٌ غير مردود ﴾ كما أنّه عليه السّلام يشير إلى وجود لوطٍ عليه السّلام وأتباعه من المؤمنين مع القوم الكافرين على نحو ما يتبيّن من قول الحقّ جلّ وعلا في سورة العنكبوت[5] : ﴿ ولمّا جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنّا مهلكو أهل هذه القرية إنّ أهلها كانوا ظالمين . قال إنّ فيها لوطاً . قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجّينّه وأهله إلاّ امرأته كانت من الغابرين ﴾ .

---

(١) تفسير الطّبرى ١٤/٢٨ .
(٢) تفسير الطّبرى ١٤/٢٨ .
(٣) الجلالين .
(٤) الآيات ٧٤ ـ ٧٦ .
(٥) الآية ٣١ و٣٢ .

فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ
وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ
دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾

إنّكم قومٌ منكرون : ننكركم لا نعرفكم(١)

يمترون : يشكّون(٢)

فأسْرِ بأهلك بِقِطْعٍ من اللّيل : فأسْرِ بأهلك ببقِيّةٍ من اللّيل(٣) وبعد مضيّ جانبٍ منه (٤)

واتّبع أدبارهم : واتّبع يالوط أدبار أهلك الّذين تسرى بهم . كن من ورائهم وسر خلفهم وهم أمامك(٥) ليكون أحفظ لهم .

وهكذا كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يمشي في الغزو إنّما يكون ساقةً يزجي الضّعيف ويحمل المنقطع(٦)

ولا يلتفت منكم أحد : أي إذا سمعتم الصّيحة بالقوم فلا تلتفتوا إليهم وذروهم فيما حلّ بهم من العذاب والنّكال(٧)

---

(١) تفسير الطّبرى ١٤/٢٨ .

(٢) تفسير الطّبرى ١٤/٢٨ .

(٣) تفسير الطّبرى ١٤/٢٩ وفي موضع آخر : «بعض اللّيل» .

(٤) تفسير ابن كثير ٢/٥٥٤ .

(٥) تفسير الطّبرى ١٤/٢٩ .

(٦) تفسير ابن كثير ٢/٥٥٤ .

(٧) تفسير ابن كثير ٢/٥٥٤ .

وامضوا حيث تؤمرون : كأنّه كان معهم من يهديهم السّبيل[1] إلى الشّام[2]
وقضينا إليه : وأوحينا إليه[3]
ذلك الأمر أنّ دابر هؤلاء مقطوع : وهو[4] أنّ آخر قومك وأوّلهم مجذوذٌ مستأصل[5] وأنّ من قوله ﴿ **أنّ دابر** ﴾ في موضع نصبٍ ردّاً على الأمر بوقوع القضاء عليها . وقد يجوز أن تكون في موضع نصبٍ بفقد الخافض ويكون معناه : وقضينا إليه ذلك الأمر بأنّ دابر هؤلاء مقطوعٌ مصبحين[6]
مصبحين : صباح ليلتهم[7]
لمّا جاء الملائكة المرسلون لوطاً عليه السّلام وآله قال لهم لوطٌ عليه السّلام إنّكم قومٌ منكرون غير معروفين لنا . وممّا قوّى إنكار لوطٍ عليه السّلام لهم خوفه عليهم من قومه الكافرين المنحرفين عن سواء السّبيل بسبب جمالهم وصغر سنّهم . وقد عمّق هذا المعنى مثل هذه الآيات الكريمات من سورة هود[8] قال تعالى : ﴿ **ولمّا جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يومٌ عصيب . وجاءه قومه يُهْرَعون إليه ومن قَبْلُ كانوا يعملون السّيّئات قال ياقوم هؤلاء بناتى هنّ أطهر لكم فاتّقوا الله ولا تخزون في ضيفى أليس منكم رجلٌ رشيد . قالوا لقد علمت مالنا في بناتك من حقٍّ وإنّك لتعلم ما نريد . قال لو أنّ لى بكم قوّةً أو آوى إلى ركنٍ شديد . قالوا يالوط إنّا رسل ربّك لن يصلوا إليك فأسْرِ بأهلك بِقِطْعٍ من اللّيل ولا يلتفت منكم أحدٌ إلّا امرأتك إنّه مصيبها ما أصابهمَ . إنّ موعدهم الصّبح . أليس الصّبح بقريب** ﴾
ونستطيع أن نفهم معنى الآيتين الكريمتين : ﴿ **قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون . وأتيناك بالحقّ وإنّا لصادقون** ﴾ في ضوء القاعدة الّتى تقول إنّ جملة جاء تُسْتَعْمَل في القرآن الكريم دليلاً على القرب وإنّ جملة أتى تُسْتَعْمَل في البعد ، وفي ضوء

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٥٥٤ .
(٢) الجلالين .
(٣) تفسير الطّبرى ١٤/٢٩ والجلالين .
(٤) الجلالين .
(٥) تفسير الطّبرى ١٤/٢٩ .
(٦) تفسير الطّبرى ١٤/٢٩ .
(٧) تفسير الطّبرى ١٤/٢٩ وتفسير ابن كثير ٢/٥٥٤ والجلالين .
(٨) الآيات ٧٧ - ٨١ .

مثل قول الحقّ جلّ وعلا في سورة الأعراف[1] : ﴿ **قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا قال عسى ربّكم أن يهلك عدوّكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعلمون** ﴾ إنّ الّذى امترى فيه قوم لوطٍ عليه السّلام الهلاك واستئصال الشّأفة . وإنّ الحقّ الّذى أتى به الملائكة هو العذاب . وبذلك يكون معنى آيتي سورة الحجر ـ والله أعلم ـ على النّحو التّالى : قالوا بل جئناك بالهلاك الّذى يمترى فيه القوم ويشكّون ، وأتيناك بالعذاب الحقّ وإنّا لصادقون في التّهديد به وفي إنزاله . وبذلك تكون الآية الكريمة الأولى قد نظرت إلى الهلاك من زاوية قربه وحلوله بالقوم وقد أوحت جملة جاء بهذا المعنى ، وتكون الآية الكريمة الأخرى قد نظرت إلى العذاب من زاوية استبعاد القوم له وقد أوحت جملة أتى بهذا المعنى .

وتأمر الآية الكريمة التّالية لوطاً عليه السّلام أن يُسْري بأهله بعد مضيّ جزءٍ كبير من اللّيل وبقاء بعضه ، وأن يتّبع أدبارهم ويقفو آثارهم ، وتنهاه عن أن يلتفت هو أو أحدٌ من آله عليه السّلام إلى القوم حينما يحلّ بهم العذاب الأليم ، وتأمره أن يمضي هو ومن آمن به حيث يؤمرون وأن يتّجهوا إلى الشّام فيما يقال .

وتقرّر الآية الكريمة التّالية أنّ لوطاً عليه السّلام قد أوحى الله تعالى إليه ذلك الأمر العظيم الشّأن الجليل الخطر بأنّ دابر القوم المجرمين وآخرهم مقطوعٌ ومستأصَل ، ومن باب الأولى أوائل القوم وهواديهم ، وذلك حينما يطلع عليهم صباح تلك اللّيلة القريب .

وإنّه بالمقارنة بين آيات سورة هود والحجر يتبيّن أن آيات سورة الحِجْر حصل فيها بعض تقديم وتأخير . فإلى آيات بقيّة القصّة .

---

(١) الآية ١٢٩ .

وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾
قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا
سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

وجاء أهل المدينة يستبشرون : وجاء أهل مدينة سدوم وهم قوم لوط لمّا سمعوا أنّ ضيفاً قد ضاف لوطاً ، مستبشرين بنزولهم مدينتهم طمعاً منهم فى ركوب الفاحشة[1] واستبشر إذا وجد ما يبشّره من الفرح[2] والخبر السّارّ الّذى يبسط بشرة وجهه . وذلك أنّ النّفس إذا سُرّت انتشر الدّم فيها انتشار الماء فى الشّجر[3]

ولا تخزون : ولا تذلّونى ولا تهينونى فيهم بالتّعرّض لهم بالمكروه[4]

قالوا أو لم ننهك عن العالمين : قال للوطٍ قومه أو لم ننهك أن تضيفَ أحداً من العالمين[5]

---

(١) تفسير الطّبرى ١٤/ ٣٠ .

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «بشر» ٤٨ .

(٣) انظر مفردات الرّاغب الأصفهانى : «بشر» ٤٨ .

(٤) تفسير الطّبرى ١٤/ ٣٠ .

(٥) تفسير الطّبرى ١٤/ ٣٠ .

إن كنتم فاعلين : ما آمركم به ومنتهين إلى أمرى[1] أو إن كنتم فاعلين ما تريدون من قضاء الشّهوة فتزوّجوهنّ[2]

لعمرك : وحياتك يامحمّد[3] أقسم تعالى بحياة نبيّه صلوات الله وسلامه عليه . وفي هذا تشريفٌ عظيم ، ومقامٌ رفيع ، وجاهٌ عريض[4]

يعمهون : يتردّدون[5] والعَمَه التّردّد في الأمر من التّحيّر[6]

فأخذتهم الصّيحة مشرقين : فأخذتهم صاعقة العذاب وهي الصّيحة[7] صيحة جبريل[8] إذْ أشرقوا . ومعناه إذْ أشرقت الشّمس[9]

من سجّيل : طين طبخ بالنّار[10]

إنّ في ذلك لآياتٍ للمتوسّمين : للمتفرّسين المعتبرين النّاظرين[11] قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله . ثمّ قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم : إنّ في ذلك لآياتٍ للمتوسّمين[12]

وإنها لبسبيلٍ مقيم : وإنّ هذه المدينة مدينة سدوم لبطريقٍ واضحٍ مقيم يراها المجتاز بها لاخفاء بها ولا يبرح مكانها فيجهل ذولبّ أمرها وغبّ معصية الله والكفر به[13] وهي طريق قريشٍ إلى الشّام لم تندرس أفلاً يعتبرون بهم[14]

---

(١) تفسير الطّبرى ١٤/٣٠ .

(٢) الجلالين .

(٣) تفسير الطّبرى ١٤/٣٠ .

(٤) تفسير ابن كثير ٢/٥٥٥ .

(٥) تفسير الطّبرى ١٤/٣٠ .

(٦) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «عمه» ٣٤٨ .

(٧) تفسير الطّبرى ١٤/٣١ .

(٨) الجلالين .

(٩) تفسير الطّبرى ١٤/٣١ .

(١٠) الجلالين .

(١١) تفسير الطّبرى ١٤/٣١ .

(١٢) تفسير الطّبرى ١٤/٣١ .

(١٣) تفسير الطّبرى ١٤/٣٢ .

(١٤) الجلالين .

تقرّر الآية الكريمة الأولى أنّ أهل مدينة سدوم جاءوا لوطاً عليه السّلام وقد طفح على وجوههم البشر بباعث شهوتهم المنحطّة الجامحة الحريصة على إتيان الشّبّان المرد الصّباح الوجوه الجميلي الصّورة . ولم يكونوا يعلمون أنّهم من الملائكة وأنّهم رسل الله تعالى لعذابهم ، وكذلك لم يكن لوطٌ عليه السّلام يعلم شيئاً من ذلك .

وتقرّر الآيتان الكريمتان بعد ذلك أنّ لوطاً عليه السّلام قال لقومه المنحرفين عن سواء السّبيل إنّ هؤلاء المرد الحسان ضيفي وينبغي إكرامهم فلا تفضحوني بإتيانهم واعتلائهم واتّقوا الله تعالى وخافوه باجتناب هذا المنكر ، ولا تذلّوني ولا تهينوني بإذلال ضيفي وإهانته .

وتبيّن الآية الكريمة الرّابعة الدّرك الّذي انحطّت إليه قباحة القوم ووقاحتهم . إنّهم يسألون لوطاً عليه السّلام في أسلوب الإنكار قائلين : أو لم ننهك من ذي قبل أن تضيف أحداً من العالمين ! أما وقد فعلت ما نهيناك عنه فأنت المسئول عمّا يترتّب على مخالفتك لنا . ويلاحظ أنّ القوم الوقحين ينهون لوطاً عليه السّلام عن إكرام أيّ ضيف بل عن استقباله وبذلك هم يتحوّلون من عمى بصيرةٍ إلى عمىً أشدّ منه .

وتجاه ثورة القوم العارمة وشهوتهم الجامحة تبيّن الآية الكريمة الخامسة أنّ لوطاً عليه السّلام قال لقومه بقصد توجيههم إلى الطّريق الصّحيح لتصريف الشّهوة وإشباع النّزوة بأنّ في إمكانهم أن يتزوّجوا بناته عليه الصّلاة والسّلام وبنات المدينة على الوجه الشّرعيّ الصّحيح إن كانوا فاعلين حقّاً ما يكمل به دينهم ويستمرّ به نسلهم . أمّا إن أصرّوا على إتيان القبيح وارتكاب المنكر فإنّ لوطاً عليه السّلام يقاومه بكلّ ما أوتي من قوّة ، رغم اعترافه عليه الصّلاة والسّلام بعجزه وقلّة حيلته وهوانه على النّاس .

وفي الآية الكريمة السّادسة يجيء القَسَم الوحيد في القرآن الكريم بحياة محمّد بن عبدالله صلّى الله عليه وسلّم ، خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين عليهم جميعاً صلوات الله تعالى وسلامه وذلك في خطابه بالقول : ﴿ **لعمرك إنّهم لفي سكرتهم يعمهون** ﴾ إنّ ربّ العزّة يقسم بحياة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم ، دليلاً على رفيع منزلته عند بارئه جلّ وعلا . وتبيّن الآية الكريمة أنّ قوم لوطٍ عليه السّلام الّذين انهزموا أمام جموح الشّهوة المنحرفة عن سواء السّبيل قد غدوا في حكم من سكر بفرط النّزوة إلى الحدّ الّذي غُطّيت معه عقولهم وسكّرت أبصارهم فهم في حيرتهم متردّدون وفي عمى بصائرهم متحيّرون .

والآية الكريمة السّابعة تبيّن أنّ الصّيحة الّتي أرسلها جبريل عليه السّلام عند شروق الشّمس قد أخذتهم وقضت عليهم .

والآية الكريمة الثّامنة تبيّن أنّ الصّيحة الّتي أخذت القوم قد اقترن بها قلب قرى قوم لوطٍ عليه السّلام رأساً على عقب ، بمن فيها وما فيها ، ويضاف إلى ذلك أنّ ربّ العزّة قد أمطر عليهم حجارةً من سجّيل منضود ، وطينٍ مطبوخ .

والآية الكريمة التّاسعة تبيّن أنّ فيما حدث لقوم لوطٍ عليه السّلام آياتٍ للمتوسّمين ، وعبراً للمعتبرين ، ومواعظ للمتفرّسين .

والآية الكريمة العاشرة تبيّن أنّ قرى قوم لوطٍ بسبيلٍ مقيم ، وطريقٍ واضح لأهل مكّة في سفرهم إلى الشّام . جاء في سورة الصّافّات[1] قول الحقّ جلّ وعلا : ﴿ **وإنّكم لتمرّون عليهم مصبحين . وباللّيل أفلا تعقلون** ﴾

والآية الكريمة الحادية عشرة تبيّن أنّ في ذلك القصص لآيةً وعظةً وعبرةً للمؤمنين . وهكذا ينال المؤمنون حظّهم ، وبهذا الحظّ يُختَم الحديث عن لوطٍ عليه السّلام وقومه .

وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾

وإن كان أصحاب الأيكة : إن مخفّفة من الثّقيلة أي إنّه[2] والأيكة الشّجر الملتفّ المجتمع[3] وهم قوم شعيب. وكان ظلمهم بشركهم بالله وقطعهم الطّريق ونقصهم المكيال والميزان فانتقم الله منهم بالصّيحة والرّجفة وعذاب يوم الظّلّة. وقد كانوا قريباً من قوم لوط بعدهم في الزّمان ومسامتين لهم في المكان ولهذا قال تعالى ﴿وإنّهما لبإمام مبين﴾ أي طريقٍ مبين، قال ابن عبّاس ومجاهد والضّحّاك وغيره : طريقٌ ظاهر[4] جاء في عذاب قوم شعيبٍ عليه السّلام قول الحقّ جلّ وعلا في سورة هود[5] : ﴿ولمّا جاء أمرنا نجّينا شعيباً والّذين آمنوا معه برحمةٍ منّا وأخذت الّذين ظلموا الصّيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين. كأن لم يغنوا فيها. ألا بعداً لمدين كما بَعِدت ثمود﴾ وقول

---

(١) الآية ١٣٧ و ١٣٨ .

(٢) الجلالين والجدول في إعراب القرآن وصرفه ٢٢١/٧ .

(٣) تفسير الطّبري ٣٢/١٤ .

(٤) تفسير ابن كثير ٥٥٦/٢ .

(٥) الآية ٩٤ و ٩٥ .

الحقّ جلّ وعلا فى سورة الشّعراء[1] : ﴿فكذّبوه فأخذهم عذاب يوم الظّلّة إنّه كان عذاب يومٍ عظيم﴾ والظّلّة سحابة أظلّتهم بعد حرٍّ شديدٍ أصابهم فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا[2].

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ
ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٨١﴾ وَكَانُوا۟ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ
ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾

أصحاب الحِجْر : هم ثمود الّذين كذّبوا صالحاً نبيّهم عليه السلام[3].

تتحدّث الآيات الكريمات عن أصحاب الحِجْر وهم ثمود قوم صالح عليه السّلام الّذين كذّبوه عليه السّلام وفى ذلك تكذيبٌ لسائر المرسلين لأنّ رسالة النّبيّين أجمعين واحدة. والحِجْر اسمٌ من أسماء مدائن صالح ومنها العُلا. وتقع شماليّ المدينة المنوّرة فى الطّريق إلى الشّام. وقد آتى الله سبحانه وتعالى ثمود آياته جلّ وعلا على يد صالحٍ عليه السّلام وذلك فى هيئة النّاقة الّتى هي فى ذاتها مجموعةٌ من الآيات ابتداءً بخروجها من الصّخر الّذى عيّنته ثمود، مروراً بسقيها ثمود اللّبن، وانتهاءً بقتل أشقى ثمود لها، وماترتّب على ذلك من أخذ الله تعالى ثمود أخذ عزيزٍ مقتدر. إنّ ثمود كانوا عن الآيات معرضين ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين﴾ ونستطيع أن نفهم أنّهم كانوا آمنين على دمائهم وأموالهم فى المقام الأوّل.

وإذا كانت الآية الكريمة تصف القوم بأنّهم كانوا آمنين فإنّ الآية الكريمة من سورة الشّعراء[4] تقرّر أنّهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً فارهين حاذقين. قال تعالى ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾ فهم مرّةً ينحتون الجبال بيوتاً آمنين مطمئنّين، ومرّة

---

(١) الآية ١٨٩ .

(٢) الجلالين .

(٣) تفسير ابن كثير ٢/٥٥٦ وتفسير الطّبرى ١٤/٣٤ .

(٤) الآية ١٤٩ .

أخرى ينحتون الجبال بيوتاً فارهين حاذقين. وقد أكّدَ اتّخاذَ ثمود الجبال بيوتاً منحوتةً فيها هذه الآية الكريمة من سورة الأعراف[1] قال تعالى: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوّأكم في الأرض تتّخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ إنّ ربّ العزّة قد منّ على ثمود بمجموعةٍ من النّعم ومنها أنّهم يتّخذون من السّهول قصوراً وينحتون من الجبال بيوتاً. والمعروف في اللّغة أنّ البيت هو المكان الّذي يبيت فيه الإنسان ليلاً وينام ويقضي ليله فيه. وكلّ هذه المعاني من سمات البيوت الّتي جعلها الله تعالى سكناً لعباده وموضعاً يسكنون إليه ويطمئنّون. وقد قال عزّ من قائل في سورة النّحل[2]: ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفّونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين﴾.

وقبل كتابة هذه السّطور قُدِّر لكاتبها أن يزور الحجر أو العلا أو مدائن صالح ووقف عن كثب على تلك البيوت الّتي نحتها في الجبال قوم صالحٍ عليه السّلام ومنها ماهو على ارتفاعٍ شاهق بحيث إنّ الإنسان ليعجب من كفاءة النّاحتين وقوّة السّاكنين. وكلّ ذلك يتمشّى مع مانصّ عليه القرآن الكريم من كون تلك الأماكن بيوتاً ليسكنها الأحياء.

وإنّما وقفت مليّاً عند هذه الحقيقة لأنّ المستشرقين في مجموعهم يصرّون على الزّعم بأنّ تلك الأماكن لم تكن بيوتاً ولكنّها كانت قبوراً. ولايُسْتَغْرب هذا الموقف من المستشرقين ومن لفّ لفّهم بقصد معارضة القرآن الكريم. ولكنّ الأمر المستغرب له حقّاً أن يتبنّى بعض المتخصّصين في هذا الفنّ من الأساتذة المسلمين رأي المستشرقين فيذهبوا إلى أنّ تلك الأماكن لم تكن بيوتاً ولكنّها كانت قبوراً. وحينما يوقفون على أمثال آيات سور الأعراف والحجر والشّعراء يجتهدون في ليّ أعناق النّصوص ليّاً كأنْ يقال إنّ المراد بالقول في سورة الحجر: ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين﴾ كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين في قبورهم بعد الموت. ولا أحد يعرف كيف يكون الكافرون آمنين في قبورهم، ولا أحد يعرف كيف تكون ثمّة قبورٌ منحوتةٌ في أعالي الجبال.

وإنّ الحجّة الّتي اعتمد عليها المستشرقون هي أنّهم وجدوا في تلك البيوت

---

(١) الآية ٧٤.

(٢) الآية ٨٠.

المنحوتة بقايا جثثٍ بشريّة. وغفل أولئك المستشرقون عن كون تلك الأماكن المنحوتة تعود إلى آلاف السّنين. وبعد أن دمّر الله تعالى ثمود تدميراً تعاقبت أممٌ مختلفة على تلك الأماكن ويصحّ أن يتّخذها بعضهم بيوتاً ويصحّ أن يتّخذها بعضهم قبوراً. وكلّ أولئك يتأخّرون زمناً عن ثمود الّتي دمّرها الله تعالى تدميراً بسبب كفرها كما بيّن ذلك القرآن الكريم.

والحقيقة أنّ هذه مناسبةٌ طيّبةٌ مباركةٌ كي أوصي نفسي وإخواني بأن نعتقد جميعاً اعتقاداً جازماً بأنّ مايقوله القرآن الكريم هو الفصل تمشّياً مع الحقيقة الّتي يقرّ بها الجميع وهي أنّ القرآن الكريم معجزٌ بكلّ مايُعْطي ويمنح، يُمْسِك ويمنع. نسأل الله تعالى أن يهدينا جميعاً سواء السّبيل. إنّه على كلّ شيءٍ قدير.

إنّ ثمود بعد أن أصرّوا على كفرهم وعقروا النّاقة دليلاً على ذلك أخذتهم الصّيحة وقت الصّباح، والصّاعقة وهم ينظرون ﴿فما أغنى عنهم ماكانوا يكسبون﴾ من مالٍ وثراء، ولا نفعهم ماكانوا فيه من أُبَّهةٍ وجاه. جاء في سورة الذّاريات[1] قول الحقّ جلّ وعلا : ﴿وفي ثمود إذ قيل لهم تمتّعوا حتّى حين. فَعَتَوْا عن أمر ربّهم فأخذتهم الصّاعقة وهم ينظرون. فما استطاعوا من قيامٍ وماكانوا منتصرين﴾ وجاء في سورة هود[2] قول الحقّ جلّ وعلا : ﴿فلمّا جاء أمرنا نجّينا صالحاً والّذين آمنوا معه برحمةٍ منّا ومن خِزْي يومئذٍ. إنّ ربّك هو القويُّ العزيز. وأَخَذَ الّذين ظلموا الصَّيحةُ فأصبحوا في ديارهم جاثمين. كأن لم يغنوا فيها. ألا إنّ ثمود كفروا ربّهم. ألا بُعْداً لثمود﴾.

---

(١) الآيات ٤٣ - ٤٥ .

(٢) الآيات ٦٦ - ٦٨ .

﴿ تهديدٌ لكفّار مكّة المستهزئين وتثبيتٌ للمصطفى ﷺ والمؤمنين ﴾

الآيات (٨٥—٩٩)

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾

تقرّر الآية الكريمة الأولى أنّ ربّ العزّة والجلال ماخلق السّماوات السّبع والأرضين السّبع ومافيهنّ من فيهنّ إلّا بالحقّ ومن أجل أن يقوم كلٌ بالدّور المنوط به والغاية الّتى خُلِق من أجلها. وبشأن الإنس والجنّ ماخلقهما الله تعالى إلّا من أجل عبادته جلّ وعلا وحده لا شريك له. قال عزّ من قائل[1] : ﴿وماخلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون﴾ وفى يوم القيامة يكون الحساب. وقد أشارت الآية الكريمة إلى ذلك فقرّرت أنّ السّاعة لآتية، والوقت الّذى تقوم فيه القيامة لقادم. وتجاه كفّار مكّة المستهزئين الّذين كانت لهم آنذاك الكلمة تأمر الآية الكريمة المصطفى ﷺ فى هذه الفترة المكّيّة الّتى لما يؤمر فيها بالقتال بأن يصفح الصّفح الجميل. والصفّح يتألّف من العفو ومن الإقبال على المعفوّ عنه بصَفْحَة الوجه وجانبه وعُرْضِه. يقال : صفحت عنه : أوليته منى صفحةً جميلةً معرضاً عن ذنبه[2] إنّ المطلوب من المصطفى ﷺ أن يتجاوز العفو والصّفح إلى كون صفحه جميلا بقصد استمالة القلوب إلى الإسلام.

وتأكيداً لقدرة الله تعالى المطلقة على إعادة الخلق يوم القيامة من جديد كما بدأ جلّ وعلا أوّل الخلق، يجىء فى خطاب الآية الكريمة الثّانية للمصطفى ﷺ صيغتا المبالغة ﴿الخلّاق العليم﴾ ولايخفى دور الخطاب : ﴿ربّك﴾ فى تأكيد معنى الصّفح من ناحية وتثبيت فؤاد المصطفى ﷺ من ناحية أخرى.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾

بما أنّ السّبع المثانى، فى أرجح الأقوال، والله تعالى أعلم، معناها سورة الفاتحة المكّيّة المؤلّفة من سبع آياتٍ كريمات[3] فإنّا يصحّ أن نتلمّس وجه شبهٍ بين دور الآية

---

(١) سورة الذّاريات ٥٦ .

(٢) انظر مفردات الرّاغب الأصفهانى : «صفح» ٢٨٢ .

(٣) وقفنا عند هذه المسألة ملياً في كتابنا : تأملاتٌ في سورة الفاتحة .

الكريمة فى السّباق هنا وبين دور هذه الآية الكريمة من سورة الفرقان فى السّياق هنالك. قال عزّ من قائل[1] : ﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً﴾ ووجه الشّبه يتجلّى فى كون القرآن الكريم أكبر سلاحٍ للمصطفى ﷺ يجاهد به الكافرين. وإنّ للدّعاة إلى الله تعالى أسوةً حسنةً فى المصطفى ﷺ فى كلّ عصرٍ ومصر.

ويلاحظ أنّ الآية الكريمة تجعل القرآن الكريم كلّه قسيماً للسّبع المثانى، والمراد بذلك سورة الفاتحة الّتى تُثنّى وتكرّر فى كلّ ركعةٍ سواءً أكانت الصّلاة فرضاً أم نفلاً. فما الحكمة من ذلك؟ الحكمة من ذلك التّنبيه إلى أهمّيّة الصّلاة ووجوب المحافظة عليها وأدائها بكامل أركانها وواجباتها وشروطها. والمعروف أنّ سورة الفاتحة تكرّر فى الصّلوات المفروضة فى اليوم واللّيلة سبع عشرة مرّة فكيف بالسّنن والنّوافل. وإنّ المطلوب من الدّعاة أن يحافظوا على الصّلوات كما يجاهدون بالقرآن الكريم جهاداً كبيراً. وسوف نتبيّن فى الآية الكريمة قبل الأخيرة من السّورة الكريمة الإشارة إلى الصّلاة بأهمّ هيئاتها وهي هيئة السّجود الّتى يكون معها المسلم أقرب مايكون إلى الله تعالى.

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾

لمّا كانت الدّنيا لاتساوى عند الله تعالى جَناح بعوضةٍ وإلّا ماسقى الكافر فيها شربة ماء فقد مكّن الله تعالى للكثير من الكافرين فى الأرض وفتح لهم أبواب كلّ شىء. وبقصد أن يقفَ المؤمن على هذه الحقيقة ويظلّ مستمسكاً بمبادئه وقيمه يكون فى الآية الكريمة الاولى خطابٌ للأسوة الحسنة محمّدٍ ﷺ فى هيئة النّهي له ﷺ عن أن يمدّ عينيه إلى مامتّع الله سبحانه وتعالى به أزواجاً من أولئك الكافرين. وبما أنّ الله سبحانه وتعالى زيّن للنّاس حبّ الكثير من الشّهوات وفى مقدّمتها النّساء فإنّ حديث الآية الكريمة عن الأزواج رمزٌ لسائر المتع والشّهوات. ويلاحظ أنّ الآية الكريمة يجيء فيها النّصّ على الزّوجات بخاصّة وليس على مطلق النّساء، وفى ذلك مزيد تكريمٍ من ربّ العالمين لخاتم الأنبياء وأشرف المرسلين عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين. إنّ على المؤمن ألّا يمدّنّ عينيه إلى مامتّع الله تعالى به الأزواج الكافرين وألّا يغرّنّه تقلّب الّذين كفروا فى

(١) سورة الفرقان ٥٢.

البلاد فإنّ ذلك ضربٌ من الاستدراج لهم. وتنهى الآية الكريمة المصطفى ﷺ أن يحزن على الكافرين لإصرارهم على الإعراض عن الاسلام. والمعروف أنّ المصطفى ﷺ كاد يموت أسفاً لذلك الإصرار على الإعراض عن الإسلام. كما تأمر الآية الكريمة المصطفى ﷺ أن يخفض جناحه للمؤمنين ويلين جانبه لهم ويعطف عليهم ويكون رءوفاً رحيماً بهم.

والآية الكريمة الثّانية تأمر المصطفى ﷺ أن يقول لكلّ النّاس إنّه عليه الصّلاة والسّلام هو النّذير المبين بين يدي عذابٍ شديد.

كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾
فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

كما أنزلنا على المقتسمين : مثل الّذى أنزل الله تعالى من البلاء والعقاب على الّذين اقتسموا القرآن فجعلوه عضين[1].

الّذين جعلوا القرآن عضين : أعضاءً كأعضاء الجزور[2] وأحزاباً[3] قال عطاء : المشركون من قريش عضوا القرآن فجعلوه أجزاءاً فقال بعضهم ساحر وقال بعضهم شاعر وقال بعضهم مجنون فذلك العضون[4] قال ابن زيد : جعلوه أعضاءً كما تُعْضى الشّاة. قال بعضهم كهانة وقال بعضهم هو سحر وقال بعضهم شعر وقال بعضهم أساطير الأوّلين اكتتبها. الآية. جعلوه أعضاءً كما تُعْضى الشّاه. فوجّه قائلو هذه المقالة قوله عضين إلى أنّ واحدها عضو وأنّ عضين جمعه وأنّه مأخوذٌ من قولهم عضيت الشّيء تعضيةً إذا فرّقته[5].

إنّ النّبيّ ﷺ هو النّذير بالعذاب وذلك كالعذاب الّذى أنزله الله تعالى على الّذين اقتسموا القرآن الكريم من كفّار مكّة الّذين جعلوا القرآن الكريم أجزاءً وأقساماً وأطلقوا على الكلّ صفة الجزء فقالوا عن القرآن الكريم إنّه سحرٌ أو شعرٌ أو كهانةٌ أو أساطير الأوّلين، إلى غير ذلك من الكذب والادّعاء.

---

(١) تفسير الطّبرى ١٤/٤٢.
(٢) تفسير الطّبرى ١٤/٤٣ و٤٤.
(٣) تفسير الطّبرى ١٤/٤٣.
(٤) تفسير الطّبرى ١٤/٤٤.
(٥) تفسير الطّبرى ١٤/٤٥.

فوربّك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم لنسألنّ جميع المكذّبين والمنذَرين ﴿عمّا كانوا يعملون﴾ فى الحياة الدّنيا ولنجزيّنهم على أقوالهم وأفعالهم ونيّاتهم، فإمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النّار.

ويصحّ أن يكون المقتسمون هم الّذين اقتسموا طرق مكّة من أجل تحذير الوافدين من القرآن الكريم الّذى أنزله الله تعالى على قلب الرّسول العظيم، والّذين جعلوا القرآن الكريم أجزاءً وأقساماً فقالوا عنه تلك الأكاذيب والادّعاءات.

فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾

فاصدع بما تؤمر : الصّدع الشّقّ فى الأجسام الصُّلبة كالزُّجاج والحديد ونحوهما. يقال : صدعته فانصدع وصدّعته فتصدّع. قال ﴿يومئذٍ يصّدّعون﴾[1] فيه إدغام التّاء فى الأصل فى الصّاد يتفرّقون بعد الحساب إلى الجنّة والنّار[2] وعنه استعير صدع الأمر أي فصله. قال : ﴿فاصدع بما تؤمر﴾[3] أي اجهر به وأمضه[4] عن عبدالله بن مسعود : مازال النّبيّ ﷺ مستخفياً حتى نزلت : ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ فخرج هو وأصحابه[5].

إنّا كفيناك المستهزئين : عن عروة بن الزّبير : خمسة نفر من قومه وكانوا ذوى أسنانٍ وشرفٍ فى قومهم[6].

تأمر الآية الكريمة الأولى المصطفى ﷺ أن يصدع بما أمره الله تعالى به وأن يجهر بالدّعوة إلى الله تعالى بعد أن كانت سرّيّةً وبتلاوة القرآن الكريم فى الصّلاة وفى غير الصّلاة. كما تأمره عليه الصّلاة بأن يعرض عن المشركين وألّا يهتمّ بهم ويأبه لهم.

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «صدع» ٢٧٦ .

(٢) الجلالين .

(٣) مفردات الرّاغب الأصفهانى : «صدع» ٢٧٦ .

(٤) الجلالين وتفسير ابن كثير ٢/٥٥٩ وتفسير الطّبرى ١٤/٤٧ .

(٥) تفسير ابن كثير ٢/٥٥٩ وتفسير الطّبرى ١٤/٤٧ .

(٦) تفسير الطّبرى ١٤/٤٨ وانظر أسماءهم المختلف فيها واعدادهم في تفسير الطّبرى ١٤/٤٨ - ٥١ .

وتقرّر الآية الكريمة الثانية أنّ الله سبحانه وتعالى قد كفى حبيبه المصطفى ﷺ المستهزئين الكافرين المصرّين على كفرهم. وحينما تكون السّورة الكريمة فى أوّلها قد أشارت إلى المستهزئين وإلى مثل القول على لسانهم : ﴿ياأيّها الّذى نُزِّل عليه الذّكر إنّك لمجنون﴾ وردّت عليهم بطريق غير مباشر فى مثل القول : ﴿إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون﴾ فإنّ الحديث فى آخر السّورة الكريمة عن المستهزئين يقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى قد كفى المصطفى ﷺ شرورهم. والمعروف أنّ سلاح الاستهزاء والسّخريّة والحرب النّفسيّة من أخبث الأسلحة وأفتكها.

والآية الكريمة الثّالثة تصف أولئك المستهزئين بأنّهم يجعلون مع الله تعالى إلهاً آخر فهم مشركون وتهدّدهم بأنّهم سوف يعلمون يوم القيامة عاقبة ارتكاب الشّرك وهو الذّنب الّذى لايغفره الله تعالى.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

تقرّر الآية الكريمة الأولى أنّ ربّ العزّة يعلم أنّ صدر المصطفى ﷺ يضيق بما يقوله أولئك المستهزئون المشركون عن القرآن الكريم والرّسول العظيم وعن دين الإسلام الّذى رضيه الله تعالى لعباده.

وترشد الآيتان الكريمتان التّاليتان والأخيرتان فى السّورة المكّيّة الكريمة المصطفى ﷺ الأسوة الحسنة لكلّ داعية إلى المطلوب منه عليه الصّلاة والسّلام فى هذا الموقف العصيب وأمثاله من المواقف. إنّ عليه ﷺ أن يسبّح بحمد ربّه جلّ وعلا وذلك بالإكثار من القول : سبحان الله وبحمده، وأن يكثر من الصّلاة لله ربّ العالمين، وقد عُبّر عنها بالسّجود فى القول : ﴿وكن من السّاجدين﴾ ولهذا كان رسول الله ﷺ اذا حزبه أمرٌ صلّى[1] وأن يعبد الله تعالى حقّ العبادة حتّى يأتيه ﷺ اليقين بمعنى الموت[2] وقد قال عزّ من قائل[3] : ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون﴾. وقال تعالى[4] : ﴿كلّ نفسٍ ذائقة الموت ثمّ إلينا تُرْجَعون﴾.

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٥٦٠ وتفسير الطّبرى ١٤/٥١ ورواية الطّبرى : «فزع إلى الصّلاة».

(٢) تفسير الطّبرى ١٤/٥١.

(٣) سورة الذّاريات ٥٦.

(٤) سورة العنكبوت ٥٧.

ثانيًا

سورة النحل

سُورَةُ النَّحْلِ

مكية ١٦ — آياتها ١٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
(١) يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ
أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ (٢) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ
ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٤) وَٱلْأَنْعَٰمَ
خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
(٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦)

وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ
وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾
وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ
شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم
بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ
ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾
وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ
مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۚ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟
مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ
وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا
لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن
تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ
أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ
فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ
﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ
لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ
قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا
سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ
مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ
كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ
ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوًى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ
لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى
هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا
مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ
ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ۙ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ
ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ
سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن
شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ
فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ
﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ
وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ
حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ
فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾
وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ
وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾
لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ
كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ
لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟
لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟
يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ
ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ
ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ
أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ
فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ
رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ
يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ
﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ
وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ
وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ
ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًاۚ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن
نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ
إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٥٤﴾

لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ
لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ
﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ
﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ
أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن
يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ
سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ۚ
وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ لَا جَرَمَ أَنَّ
لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن
قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ
ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا
فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾
وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا
حَسَنًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ
أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى
مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا
شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ
ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ
فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى
رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ
ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا
مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا
فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ
مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن
يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ
أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ
أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ
لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ
مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ
ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ
وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ
﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُمْ
مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ
ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا
وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ
شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ
﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ
يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ
قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ
فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟
إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾

ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ
ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ
أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ
هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى
وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ
وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ
وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ
بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ
ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ
غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا
بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ
ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن
يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ
هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ
وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ
مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ
أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ
فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ
عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا
سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ
﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ
ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ
مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ
ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ
﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ
وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا
فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ
وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى
ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ
لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟
وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾

۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ
نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا
مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ
ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ
جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ
ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا
وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾
إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ
أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ
ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ
مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾
إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ
﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ
﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ
مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ
ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا
كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ
وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ
هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾
وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ
لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ
وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ
﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

بين يدي التفسير

﴿لله تعالى الخلق والأمر وعلى الله قصد السّبيل﴾
الآيات (١—٩)

بدأت سورة النّحل المكية الكريمة بالقول فى آيتها الكريمة الاولى : ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ والمستعجلون هم المشركون بدليل القول فى الآية الكريمة بعد ذلك : ﴿سبحانه وتعالى عمّا يشركون﴾ وإنّما استعجلوا قيام السّاعة استهزاءً بالبعث وإنكاراً للحساب والعذاب. وقد دلّت جملة ﴿أتى﴾ على استبعاد المشركين قيام السّاعة، وعلى إتيان القيام مستقبلا. كما دلّت صيغة الزّمن الماضى : ﴿أتى﴾ على تحقّق وقوع ذلك الأمر. ومن أجل بيان الطريق المستقيم ينزّل ربّ العزّة الّذى له وحده دون سواه الخلق والأمر الملائكة، وفى مقدّمتهم جبريل، عليهم جميعاً سلام الله تعالى، بالوحى بإرادته جلّ وعلا على من يشاء من عباده المصطفَيْن الأخيار من النّبيّين والمرسلين بأن ينذروا ويعلنوا أنّه لا إله إلاّ الله فليتّق النّاس عذاب الله تعالى وليرق المؤمنون إلى أعلى درجات سلّم التّقوى. وإنّ الله تعالى الّذى له وحده الأمر، له وحده الخلق كذلك. ويتدرّج الحديث عن الخلق من الأكبر إلى الأصغر باطّراد. إنّ الله تعالى هو خالق السماوات والأرض. ومن البيّن أنّ السّماوات أكبر من الأرض. ولمّا لم ينتفع المشركون من خلق الله تعالى كبرى الآيات جاء التّعقيب : ﴿تعالى عمّا يشركون﴾ تنبيهاً إلى أنّ الإنسان الّذى لم ينتفع من كبرى الآيات لاينتفع من صغراها. ويتحوّل السّياق من كبرى الآيات إلى الآية الّتى تليها، إلى خلق الإنسان من ماءٍ مهين ومع ذلك هو خصيمٌ للدّعاة إلى الله تعالى مبينٌ فى خصامه وعداوته. وبعد الحديث عن السّماوات والأرض، كبرى الآيات الدّالّة على قدرة الله تعالى، وعن جنس الإنسان، كبرى الآيات فوق سطح الأرض، يتحوّل السّياق إلى الآية التّالية، إلى خلق الله تعالى جنس الحيوان. ويكون الحديث فى البداية عن الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم. ويكون الحديث فى ثلاث آياتٍ كريمات، تُعنى كلّ آيةٍ بصفةٍ مهمّة للأنعام. إنّ الآية الكريمة الأولى تتحدّث عن الأنعام من زاوية الخير الّذى يصل إلى الإنسان منها ويعتبر قوام حياته. إنّ الإنسان يستدفىء لباساً وسكناً بأصواف الغنم وأوبار الإبل وأشعار المعز، ويحصل منها على الكثير من النّفع وبخاصّةٍ اللّبن الّذى يُشرَب واللّحم الّذى يؤكل. وإنّ الإنسان ليجد متعةً فى النّظر إلى الأنعام الجميلة، وبخاصّةٍ فى عيون أصحابها حينما يُريحون بها من المرعى مساءً وحينما يسرحون

بها إلى المرعى صباحا. وإنّ الإنسان لتحمل الإبل على جهة الخصوص أثقاله إلى بلدٍ لم يكن الإنسان ليبلغه إلاّ بشقّ الأنفس وبالغ الجهد. إنّ الله تعالى الرّءوف الرّحيم هو الّذى سخّر الجمل الّذى يعتبر من أضخم الحيوانات لأصغر طفل كي يقوده، بل كي يقود القافلة من الجمال. وإنّ الحديث عن الأنعام من زاوية حمل الأثقال رشّح للحديث عن الخيل والبغال والحمير الّتى تقوم بعملية الحمل لهذه الأثقال وباتّخاذ الإنسان لها رَكوباً. ولايترك السّياق الحديث عن اتّخاذ الإنسان هذا الصّنف من الحيوان زينةً، خاصّةً وأنّ الخيل الّتى اشتّق اسمها من الخُيلاء، لجمال الخيل، تأتى على رأس القائمة. وإنّ الحديث عن أهمّ معالم آية الخلق رشّح للقول : ﴿ويخلق ما لاتعلمون﴾ ولمّا كان حمل الأثقال وركوب الدّوابّ وبلوغ البلاد النّائية يعنى كلّ ذلك أنّ ثمّة سفراً غير قاصد وشقّةً بعيدة وسبيلاً طويلاً فقد كان كلّ ذلك مرشّحاً للحديث كي يتحوّل من السّبيل المحسوسة إلى السّبيل المعنويّة والصّراط المستقيم والطّريق القويم الّذى يبيّن ربّ العزّة معالمه. وهذا الطّريق المستقيم هو دين الإسلام وماسواه فهو مجموعةٌ من السّبل الجائرة، الحائدة عن القصد، المنحرفة عن سواء السّبيل. إنّ ربّ العزّة شاء أن يهدى عباده على جهة الإرشاد بواسطة الوحي على من يشاء من عباده، ولم يشأ أن يهديهم على جهة التّوفيق : ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾.

وهكذا تلتقى آخر آيات القِسْم الأوّل مع أوّل السّورة الكريمة الّذى فيه النّصّ على البعث بعد الموت وعلى إنزال الله تعالى الملائكة بالوحي على المصطفين الأخيار. وهكذا يكون فى آيات القسم الحديث المتدرّج بشأن عمليّة الخلق من السّماوات إلى الأرض إلى الإنسان إلى الحيوان. ويبقى الحديث عن النّبات وهو ماتعرّض له القسم التّالى :

﴿سخّر الله تعالى للنّاس كلّ مافى السّماوات والأرض فعليهم توحيد الله تعالى والإيمان بالبعث﴾
الآيـــات (١٠—٢١)

تدور آيات القسم حول تسخير الله تعالى مافى السّماوات والأرض، ابتداءً بالماء النّازل من السّماء والّذى جعل الله تعالى منه كلّ شيءٍ حيّ، من أجل توحيد الله تعالى والعمل ليوم الجزاء. إنّ السّياق يقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى هو الّذى أنزل من السّماء ماءً لنا منه شرابٌ، ومنه شجرٌ فيه نرعى مواشينا. وهكذا يكون الماء والشّجر لنا أساساً،

ويكون الشّجر بعد ذلك للحيوان. وكأنّنا بصدد تدرّج فى الحديث من الإنسان إلى الحيوان إلى النّبات. وفى أسلوب القرآن الكريم المعجز توحى هذه الآية الكريمة بحكمتين من جرّاء ترتيب أنواع النّبات فيها. قال تعالى: ﴿ينبت لكم به الزّرع والزّيتون والنّخيل والأعناب ومن كلّ الثّمرات. إنّ فى ذلك لآيةً لقومٍ يتفكّرون﴾ أمّا الحكمة الأولى فهي التحوّل المستمرّ من الغذاء الرّئيسيّ إلى الكماليّ، فالزّرع يشمل الحبوب وهي الغذاء الرّئيسيّ، يليه الزّيتون، يليه النّخيل الّذى يجمع بين كون ثمره غذاءً وفاكهة، يليه العنب الفاكهة الخالصة، يليه سائر الثّمرات. وأمّا الحكمة الأخرى فهي ترتيب هذه الأنواع من النّبات فى هيئة لوحة تتدرّج صعوداً حتّى النّخلة ومنها نزولاً حتّى سائر الثّمرات. وتنبيهاً على آية النّبات الواحدة المتعدّدة الأنواع والأشكال والألوان والطّعوم والرّوائح، والّتى تُسْقَى جميعها بماءٍ واحدٍ فعلينا التّفكّر والتّدبّر يجىء فى التّذييل لفظ آيةٍ فى صيغة المفرد هذا إلى الحثّ على التّفكّر: ﴿إنّ فى ذلك لآيةً لقومٍ يتفكّرون﴾ ولمّا كان النّبات ثمرةً للعديد من العوامل السّماويّة والأرضيّة الّتى سخّرها الله تعالى للإنسان كما سخّر الماء والنّبات كان ثمّة تحوّلٌ فى الحديث إلى تسخير الله تعالى لنا اللّيل والنّهار والشّمس والقمر والنّجوم. ولأنّنا بصدد آياتٍ مختلفات متباعدات جاءت لفظة آيات بصيغة الجمع فى القول: ﴿إنّ فى ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلون﴾ ويستمرّ الحديث عن تسخير الله تعالى لنا ماخلق فى الأرض مختلفاً ألوانه من أجل أن نتذكّر ونتّعظ. وكما نال البرّ نصيبه نال البحر. فالله تعالى هو الّذى سخّر البحر لنأكل منه لحم السّمك الطّريّ، ولنستخرج منه اللّؤلؤ والمرجان كي يتحلّى نساؤنا بهما، ولتمخر السّفن أمواجه، ولنبتغي من فضل الله تعالى بركوبه، ولعلّنا نشكر لله تعالى نعمه وآلاءه. ولمّا كانت الأرض تتكوّن من ماءٍ ويابس، ويوجد فى كلٍّ منهما الجبال الرّواسى فقد أشار السّياق إلى إلقاء الله تعالى في الأرض رواسي لكيلا تضطرب بنا وفى اليابسة أنهاراً وطرقاً نهتدي بها وبعلاماتها نهاراً، وبالنّجوم ليلاً. وينبغى أن تقود الهداية فى المحسوسات إلى الهداية فى المعنويّات، فقد أشارت آخر آيات القسم السّابق إلى الطّريق المستقيم والطّرق المنحرفة، كما أشار السّياق هنا إلى ماينبغى علينا من شكرٍ لله تعالى على نعمه وآلائه وفى مقدّمتها خلقنا وخلق مافى السّماوات والأرض من أجلنا، وإنّ أهمّ مظاهر الشّكر أن نفرد الله تعالى الخالق لكلّ شيءٍ بالعبادة. ومع أنّ نعم الله تعالى لايمكن لنا احصاؤها فكيف يمكن لنا القيام بواجب الشّكر علينا إزاءها فإنّ السّياق يومىء إلى هذه الحقيقة ويقرّر أنّ الله تعالى هو الغفور لكلّ ذنب ومن ذلك ذنب التّقصير فى الشّكر لله تعالى، وهو الرّحيم

بعدم تعذيب من تاب وأناب. والله تعالى يعلم ما نسرّ وما نعلن ومن ذلك حقيقة التّوبة والإنابة. وفى مقابل خلق الله تعالى كلّ شيء واستحقاقه أن يفرد بالعبادة ووجوب العمل لما بعد الموت من بعثٍ وحسابٍ وجزاء هنالك الأصنام والأوثان الّتى يعبدها كفّار مكّة فى المقام الأوّل. إنّها لا تخلق شيئاً بل الله تعالى خالقها وخالق كلّ شيء، وإنّها أمواتٌ غير أحياء وعديمة الشّعور والعلم بوقت البعث وملابساته فكيف يصحّ أن تُعْبَد من دون الله تعالى.

﴿عذاب المكذّبين المستكبرين فى الأولى والآخرة وثـــواب المتّقين﴾
الآيات (٢٢ــ٣٤)

فى مقابل عجز الآلهة المزعومة وجهلها يتحوّل السّياق إلى تقرير وحدانية الله تعالى وعلمه المطلق جلّ وعلا. وإذا كانت الآلهة المزعومة موسومةً بالعجز والجهل فإنّ المشركين لا يؤمنون بالآخرة، وتنكر قلوبهم التّوحيد، ويستكبرون عن إفراد الله تعالى بالعبادة. حقّاً إنّ الله سبحانه وتعالى يعلم مايسرّون وما يعلنون، مايخفون ومايظهرون، وهو جلّ وعلا لايحبّ المستكبرين وسيجازيهم. وإنّ أولئك المشركين المنكرين للبعث حينما يقال لهم فى حقّ القرآن الكريم: ﴿ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأوّلين﴾ وإنّهم فى يوم القيامة الّذى ينكرونه سيحملون على ظهورهم أوزارهم كاملةً بسبب شركهم: ﴿ومن أوزار الّذين يضلّونهم بغير علم﴾ بسبب تعطيل التّابعين عقولهم الّتى ميّز الله تعالى المكلّفين بها: ﴿ألا ساء مايزرون﴾ وبئس مايحملون من أثقال. لقد كان الأحرى بكفّار مكّة ومن شاكلهم أن يتّعظوا بأمثالهم الماكرين السّابقين الّذين استبعدوا عذاب الله تعالى فأتى جلّ وعلا بنيانهم من القواعد والأسس: ﴿فخرّ عليهم السّقف من فوقهم﴾ وغدت منازلهم أطلالاً، : ﴿وأتاهم العذاب من حيث لايشعرون﴾ وفى يوم القيامة الّذى ينكرونه يخزيهم الله تعالى ويقال لهم أين الشّركاء لله تعالى فى العبادة الّذين كنتم تزعمون وتشاقّون المؤمنين وتوقعونهم فى العَنَت دفاعاً عن الأصنام والآلهة العاجزة والجاهلة وهنالك يقول الّذين آتاهم الله تعالى العلم الحقيقىّ النّافع فأفردوا الله تعالى بالعبادة: إنّ الذّلّ والعذاب واقعان على الكافرين فى ذلك اليوم العصيب. وإنّ أولئك المشركين حينما تتوفّاهم ملائكة العذاب ظالمى أنفسهم بتوريطها فى الذّنب الّذى لا يغفره الله تعالى وهو الشّرك لايملكون سوى الاستسلام ومحاولة الفرار إلى الزّعم بأنّهم لم يكونوا

يعملون فى الحياة الدّنيا من سوء ويقال لهم : ﴿بلى إنّ الله عليمٌ بما كنتم تعملون. فادخلوا أبواب جهنّم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبّرين﴾

وفى مقابل المشركين المستكبرين المنكرين للبعث هنالك المؤمنون المخبتون الّذين يعملون الصّالحات ليوم القيامة. إنّهم حينما يُسْألون : ﴿ماذا أنزل ربّكم؟ قالوا خيراً﴾ وكما أحسن هؤلاء العمل فى الأولى أحسن الله تعالى لهم الجزاء فى الآخرة الّتى هي خيرٌ من الأولى وهي نعم الدّار للمتّقين. إنّهم يدخلون جنّات عدنٍ الّتى تجرى من تحتها الأنهار والّتى لهم فيها ما يشاءون ويشتهون. وكذلك الجزاء يجزى الله تعالى المتّقين الّذين تتوفّاهم برفق ملائكة الرّحمة طيّبين يقولون لهم سلامٌ عليكم وأمنٌ وطمأنينة : ﴿ادخلوا الجنّة بما كنتم تعملون﴾.

وإنّ أولئك المشركين العابثين هل ينتظرون إلّا ملائكة العذاب لقبض أرواحهم وعذابهم أو أن يأتي أمر ربّك أيّها الرّسول الكريم والنّبيّ العظيم بهلاكهم : ﴿كذلك فعل الّذين من قبلهم﴾ فأخذهم الله تعالى أخذ عزيزٍ مقتدر وما ظلمهم جلّ وعلا ولكنّهم كانوا يظلمون أنفسهم بتوريطها فى المعصية، فأصابهم جزاء سيّئات أعمالهم وحلّ بهم ما كانوا يستهزئون من عذابٍ وهلاك.

﴿على الرّسول البلاغ والبيان، وثواب المؤمنين الصّابرين وعذاب الكافرين المستكبرين﴾
الآيـــات (٣٥ــــ٥٠)

كفّار مكّة ومن لفّ لفهم من المشركين الّذين أصابهم العذاب بسبب ذنوبهم يقولون كاذبين : لو شاء الله سبحانه وتعالى ماعبدنا من دونه جلّ وعلا من شيءٍ نحن ولا آباؤنا ولا حرّمنا من دونه جلّ وعلا من شيءٍ كالبحائر والسّوائم والسّوائب والحوامى فدلّ فعلنا على أنّه تمّ بمشيئة الله تعالى وإذنه وإلّا لمنعنا من ذلك الفعل أو لهدانا. ونسي الكافرون فى كلّ زمانٍ ومكانٍ أنّ الرّسل ليس عليهم سوى البلاغ وهو ما يسمّى بهُدى الدّلالة أو الإرشاد أمّا هُدى التّوفيق فمن ربّ العباد. إنّ الرّسل قد بلّغوا الرّسالة وأدّوا الأمانة وقد أخذ الله تعالى المكذّبين السّابقين أخذ عزيزٍ مقتدر، وفى إمكان كفّار مكّة أن يسيروا فى الأرض وأن ينظروا كيف كان عاقبة المكذّبين. ولمّا كان المصطفى ﷺ حريصاً على هداية قومه إلى الدّرجة الّتى كاد يهلك معها فقد أكّد السّياق له عليه الصّلاة والسّلام بأنّ عليه البلاغ وحده وأنّ الله تعالى لايهدى من اختار الضلال والعمى بل يزيده ضلالاً

وعمى. والعجيب فى أمر كفّار مكّة ومن شاكلهم أنّهم يقسمون بالله تعالى غاية الاجتهاد بأنّ الله سبحانه وتعالى لايبعث من يموت ويُكْذبهم السّياق على الفور ويبيّن أنّهم جميعاً سوف يُبْعثون ويُبَيّن لهم ما كانوا فيه يختلفون وسيعاقب الكافرون وسيثاب المؤمنون. ولمّا كان الكافرون يستبعدون البعث فإنّ السّياق يبيّن أنّ الله تعالى يقول لأيّ شيء يريده كن فيكون. ولمّا كان المنكرون للبعث قد آذوا المؤمنين أذىً بليغاً ممّا دفع بهم إلى الهجرة فإنّ السّياق يقرّر ثواب الله تعالى العاجل فى الدّنيا والآجل فى الآخرة للمهاجرين المظلومين الصّابرين المتوكّلين على الله تعالى. ولمّا كان الكافرون يستكثرون نعمة الرّسالة على واحدٍ من البشر فإنّ السّياق يبيّن أنّ محمّداً ﷺ ليس بِدْعاً من الرّسل فهو رجلٌ مصطفىً من قريته موحىً إليه مثلهم سواءً بسواء بشهادة أهل الذّكر والكتب السّماويّة السّابقة وبخاصّة اليهود والنّصارى. لقد أرسل الله تعالى رسله بالحجج والكتب الموحى بها، وأنزل إلى محمّد بن عبدالله ﷺ الذّكر الحكيم ليبيّن بسنّته عليه الصّلاة والسّلام للنّاس معاني الكتاب العزيز لعلّهم يتفكّرون. وتجاه إصرار كفّار مكّة على استكبارهم يخوّفهم السّياق عذاب الله تعالى حال استقرارهم بخسف الأرض بهم أو إتيان العذاب لهم من حيث لا يشعرون، وفى حال سفرهم فهم وإن أبعدوا النّجعة لن يُعْجزوا الله تعالى ولن يفوتوه. أو فى حالي الاستقرار والتّرحال بأن يأخذهم تباعاً بحيث يرى المتأخّرون مصارع السّابقين وينتظرون على خوفٍ وهلعٍ المصير ذاته. ولمّا كانت رحمة الله تعالى واسعة وتسبق غضبه وعذابه فقد جاء فى السّياق القول: ﴿فإن ربّكم لرءوف رحيم﴾ ولمّا كان الاستكبار عن عبادة الله تعالى صفةً عميقةً فى كفّار مكّة كان من السّياق تحوّلٌ إلى تقرير حقيقةٍ غايةٍ فى الأهمّيّة وهي أنّ كلّ مافى الوجود يسجد لله تعالى. والمعروف أنّ السّجود الّذى يكون على الجبهة أساساً - وهي والأنف أشرف أجزاء الوجه، والوجه أشرف أجزاء الجسد - المعروف أنّ السجود أبلغ وسائل التّعبير عن العبادة والتّذلّل والخضوع. إنّ على كفّار مكّة أن يروا ويعتبروا ويتعظوا بسجود ظلّ كلّ شيءٍ وفيئه لله تعالى وهم جميعاً داخرون وصاغرون. وإنّ لله تعالى يسجد كذلك كلّ مافى السّماوات ومافى الأرض من دابةٍ والملائكة وهم لايستكبرون عن عبادة الله تعالى الّذى يخافونه، وهو فوقهم بالقهر والاستعلاء ويفعلون مايؤمرون.

﴿للمشركين الكفورين أولياءِ الشّيطان مَثَلُ السَّوْء ولله تعالى المَثَلُ الأعلى﴾
الآيات (٥١—٦٤)

إنّ الله سبحانه وتعالى الّذى يسجد له كلّ مافى السّماوات ومافى الأرض قال على لسان أنبيائه ورسله لا تتّخذوا إلهين اثنين فضلاً عمّا وراء ذلك إنّما هو إلٰهٌ واحدٌ مستحقٌّ للعبادة وحده لاشريك له، وله مافى السّماوات والأرض، وهو الّذى أسبغ علينا نعمه الظّاهرة والباطنة. والعجيب فى أمر كفّار مكّة وسائر المشركين أنّهم ينسون الله تعالى وقت الرّخاء ويذكرونه وحده جلّ وعلا وقت الشّدّة، فإذا كشف الله تعالى عنهم السّوء عادوا إلى شركهم. ومن مظاهر الشّرك أنّهم يجعلون لما لا يعلمون منه ضرّاً ولا نفعاً نصيباً ممّا رزقهم الله تعالى من الحرث والأنعام ويوم القيامة يُسْألون عمّا كانوا يفترون على الله تعالى من كذب. ولا يكاد العجب ينتهى من مشركى العرب بعامّة مشركى مكّة بخاصّة الّذين يزعمون أنّ الملائكة بنات الله تعالى فى الوقت الّذى لايحبّون فيه لأنفسهم البنات لكن الذّكور وإذا أُخْبر الواحد منهم بأنّه رُزِق بأنثى ظلّ وجهه أسود فاحماً وكظمت نفسه حزنها وهمّها النّاميين غير المفارقين واستتر من قومه من سوء ما أُخبر به من المولودة الّتى لا يتصوّرها إلّا فماً آكلاً أو غرضاً للأعداء لذا هو يتجاذبه شعوران أحدهما من منطلق الأبوّة المشركة بأن يمسك المولودة على ذلٍّ وهوان وآخرهما من منطلق نزغات الشّيطان الرّجيم والنّفس الأمّارة بالسّوء بأن يدفنها فى التّراب وهي على قيد الحياة. بئس ما يحكم أولئك المشركون ويقدّر أولئك السّيّئو الظّنّ بالله تعالى. إنّ لهؤلاء الّذين لا يؤمنون بالآخرة الصّفة القبيحة الّتى ظهرت أشدّ قبحاً فى الشّرك، وإنّ لله تعالى الصّفة العليا الّتى ظهرت أشدّ جمالاً فى شهادة ألّا إله إلّا الله العزيز الحكيم الحليم الّذى لا يعاجل المشركين والمذنبين بالعقوبة وإلّا ما ترك على ظهر الأرض من دابّةٍ تدبّ ولا عينٍ تطْرِف. فعليهم أن يتوبوا إلى الله تعالى قبل فوات الأوان. والعجيب فى أمر هؤلاء الّذين يجعلون لله تعالى البنات اللّائى يكرهون أنّهم لا يتورّعون عن الكذب والادّعاء بأنّ لهم يوم القيامة الجنّة إن كان ثمّة بعثٌ بعد الموت! والحقيقة أنّ لهم يوم القيامة النّار الّتى يُتْرَكون فيها خالدين. ومع أنّ الله سبحانه وتعالى قد أرسل رسله بالهدى وبالآيات البيّنات فإنّ الشّيطان وليّهم فى الدّنيا قد زيّن لهم سوء أعمالهم فلهم فى الآخرة عذابٌ أليم. وبشأن محمّد بن عبدالله ﷺ خاتم النّبيّين وأشرف المرسلين قد أنزل الله تعالى عليه الكتاب

الّذى تكفّل الله تعالى بحفظه إلى يوم الدّين ليبيّن للنّاس ما اختلفوا فيه من أمر الدّين وهو للمؤمنين هدىً من الضّلالة ورحمةٌ من ربّ العالمين

﴿شراب الماء واللّبن والخمر والعسل﴾
الآيات (٦٥—٦٩)

فى معرض حديث آيات القسم الكريمة عن أنواع الشّراب تحدّثت عن الماء واللّبن والخمر والعسل وفق هذا التّرتيب الّذى يذكّرنا بقول الحقّ جلّ وعلا عن أنهار الجّنة وفق التّرتيب ذاته فى هذه الآية الكريمة من سورة محمّد ﷺ : ﴿مَثَلُ الجّنة الّتى وُعِد المتّقون فيها أنهارٌ من ماءٍ غير آسنٍ وأنهارٌ من لبنٍ لم يتغيّر طعمه وأنهارٌ من خمرٍ لذّةٍ للشّاربين وأنهارٌ من عسلٍ مصفّى﴾ وإنّ هذا التّرتيب لينبّه إلى تدرّج هذه الأنواع فى الحياة الدّنيا فى الكمّيّة من الكثرة إلى القلّة، وكذلك فى الحاجة. إنّ الحاجة فى الحياة الدّنيا للشّراب تسير وفق هذا النّسق، الماء فاللّبن فالخمر فالعسل. وقد اقترن بهذا التّرتيب ترتيبٌ آخر هو كثرة الكمّيّة من هذه الأنواع. إنّ الحاجة إلى الشّراب أوّلاً فى هيئة الماء، يليها الحاجة إلى الطّعام فى هيئة اللّبن، فالحاجة إلى التّلذّذ فى هيئة الخمر، فالحاجة إلى العلاج فى هيئة العسل. وبالإضافة إلى التّوافق بين ترتيب أنواع الشّراب فى القسم وبين التّرتيب فى آية سورة محمّد ﷺ يسبقُ حديثَ أولى آيات القسم عن الماء غذاء الأجسام حديثٌ آخر آيات القسم السّابق عن القرآن الكريم غذاء الأرواح، هذا الى نزول كلٍّ من غذاء الأرواح والأجسام من السّماء. وإنّ هذا التّشابه فى الصّفات من وسائل الرّبط بين الآيات الكريمات والأقسام. إنّ السّياق يقرّر أنّ الله سبحانه وتعالى أنزل من السّماء ماءً فراتاً فأحيا به الأرض بعد موتها وكذلك سوف يحيي الله تعالى الموتى. إنّ فى ذلك آيةً وعظةً لقومٍ يسمعون أحسن الحديث سماع تدبّر كي يعملوا لما بعد الموت من بعثٍ فحسابٍ فجزاء. ويتحوّل السّياق إلى الأنعام الّتى ينبغى أن تؤخذ منها العبرة والّتى يُسْقينا الله سبحانه وتعالى ممّا فى بطونها من بين فَرْثٍ فى الكَرِش ودمٍ فى العروق لبناً خالص البياض سائغ الشّراب لم يَشُبْهُ غير لونه وطعمه ورائحته. ويتحوّل السّياق إلى ثمرات النّخيل والأعناب الّتى نتّخذ منها سكراً وخمراً من ناحية ورزقاً حسناً كالتّمر والزّبيب من ناحيةٍ أخرى. وإنّ فى النّصّ على الرّزق الحسن تنبيهاً إلى أنّ السّكر رزقٌ غير حسن وإيماءً إلى موقف الإسلام المحرّم للخمر مستقبلاً. إنّ فى ذلك لآيةً لقومٍ يستعملون عقولهم استعمالاً سليماً. ويتحوّل السّياق إلى النّحل الّذى نحصل منه بإرادة

الله تعالى على الدّواء أو الشّفاء فى هيئة العسل. إنّ ربّ العزّة قد أوحي إلى النّحل وحي إلهام بأن تتّخذ من الجبال بيوتاً تأوى إليها ومن الشّجر وممّا يعرش النّاس لها من بيوتٍ وعُرُشٍ ولولا الوحى مافعلت نحلةٌ واحدةٌ ذلك. وإنّ على النّحل، بإذن الله تعالى، أن تأكل من كلّ الثّمرات وأن تسلك سبل ربّها جلّ وعلا الّتى أوحى لها بها وذلّلها من أجلها فلا يصعب عليها طريق ولا يعسر عليها وعر. ومن بطون النّحل يخرج بإذن الله تعالى شرابٌ مختلفٌ ألوانه وعسلٌ فيه شفاءٌ للنّاس. والمعروف أنّ النّحلة يخرج منها إضافةً إلى العسل شرابٌ غيره ولعلّ تعدّد أنواع الشّراب وراء الحكمة من استعمال لفظة شراب بالذّات. إنّ فى ذلك لآية وعظةً وعبرةً لقومٍ يتفكّرون فى عظمة المخلوق الدّالّة على عظمة الخالق الّذى ينبغى إفراده بالعبادة وحده دون سواه.

﴿الله تعالى الخالق الرّازق العليم القدير هو المستحقّ أن يُعْبَد وحده﴾
الآيـــات (٧٠ــ٧٩)

بعد حديث آيات القسم السّابق عن أنواع الشّراب بقصد دفع العطش والجوع، وبقصد التّلذّذ والعلاج، يكون حديث آيات هذا القسم التّالى عن مراحل خلق الإنسان إلى أن يتوفّاه الله تعالى وعن بعض مظاهر النّعم والنّعيم فى أثناء سفر الإنسان إلى الله تعالى وإلى الآخرة. وإلى عمليّة الخلق ابتداءً الوفاة انتهاءً أشار السّياق بالقول: ﴿والله خلقكم ثمّ يتوفّاكم﴾ ولمّا كان حرف العطف ثمّ يدلّ على التّرتيب مع التّراخى وبذلك هو يشمل كلّ من توفّاه الله تعالى بعد الولادة، فإنّه مرشّح للحديث عمّن نسأ الله تعالى له فى الأجل حتى لا يعلم بعد علم شيئاً. إنّ الّذى يفعل كلّ ذلك هو العليم القدير الّذى فضّل بعضنا على بعضٍ فى الرّزق. وبما أنّ النّاس الّذين فضّلهم الله تعالى فى الرّزق لا يردّون رزقهم على عبيدهم وإمائهم كي يكونوا متساوين فى الرّزق فكيف يحقّ للمشركين أن يسوّوا فى العبادة بين الله تعالى مالك الملك وبين مخلوقاته وعبيده بعبادتهم من دون الله تعالى. إنّ واجبهم أن يبادلوا الشّكران بالشّكران وليس بالكفران. وإنّ الله تعالى الّذى رزقهم هو الّذى جعل لهم من أنفسهم أزواجاً ليسكنوا إليها وجعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة وتكفّل لكلّ مخلوقٍ برزقه فكيف يحقّ للمشركين أن يؤمنوا بالباطل فيعبدوا الأصنام وأن يكفروا بنعمة الله تعالى ويشركوا تلك الأصنام فى العبادة مع الرّحمن. إنّ

المشركين يعبدون من دون الله تعالى ما لا يملك لهم شيئاً من الرّزق فى السّماوات والأرض ولا يستطيعون ذلك ولو حرصوا. وإنّ على المشركين ألاّ يجعلوا لله تعالى الأشباه والنّظائر بإشراكها مع الله تعالى فى العبادة لأنّ الله تعالى هو وحده دون سواه العليم القدير.

وإثر نهي المشركين أن يجعلوا لله تعالى شبيهاً فى هيئة الأصنام والأوثان الّتى يشركونها مع الله تعالى فى العبادة، فذلك معنى القول : ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ يضرب السّياق مثلين اثنين. وأحد المثلين لعبدٍ مملوكٍ لسيّده لا يقدر على شيءٍ لأنّه لا يملك شيئاً. فهل يستوى هذا العبد المملوك الّذى تلك صفته بذلك السّيّد الّذى رزقه الله تعالى منه رزقاً حسناً حلالاً وطيّباً فهو ينفق منه سرّاً وجهراً ليلاً ونهاراً. والجواب معروف إنّهما لا يستويان. وهذا الجواب الصّحيح لايخفى على عاقل والحمد لله. وإنما تورّط كفّار مكّة ومن شاكلهم فى الشّرك لأنهم لايعلمون حقيقة الخطأ الّذى ارتكبوا والدّرك السّحيق الّذى إليه انحطّوا بسبب تعطيلهم عقولهم عن العمل. وإنّ لسان حال المثل يقول : كيف تسوّون الأصنام والأوثان فى العبادة بالملك الدّيّان العليم القدير الرّزّاق. ويلاحظ ان الآية الكريمة تبدأ فى حقّ السّيّد بذكر صفة الإنفاق من الرّزق الحسن الّذى رزقه الله تعالى إيّاه. وبذلك تثبت الآية الكريمة للسّيّد ضمناً كلّ الصّفات المسلوبة من العبد المملوك، فهو حرّ، وهو بإرادة الله تعالى قادرٌ على أشياء كثيرة من بينها حرّيّة الإنفاق فى سبيل الله تعالى سرّاً وجهراً. وآخر المثلين لرجلين أحدهما أبكم أصمّ عاجزٌ عن كلّ شيءٍ عالةٌ على وليّه أينما يوجّهه هذا الوليّ ويسدّده لا يأت بخير. هل يستوى هذا الرجل بذلك الرّجل الآخر الّذى يأمر بالعدل وهو على صراطٍ مستقيم يسير فيه ويدعو إليه. والجواب بطبيعة الحال معروف. لا يستويان. وإنّ لسان حال الآية الكريمة ينزّل كلّ ما يعبد من دون الله تعالى فى عجزه وقلّة حيلته منزلة ذلك الأبكم الّذى لا يأتى بخيرٍ مطلقاً. وحينما ينصّ القرآن الكريم على أنّ ربّ العزّة هو الّذى يأمر بالعدل وأنّه جلّ وعلا على صراطٍ مستقيم يهدى إليه من يشاء من عباده فقد جاء فى سورة هودٍ على لسان هودٍ عليه السّلام فى الآية الكريمة السّادسة والخمسين قول الحقّ جلّ وعلا : ﴿إنّ ربّى على صراطٍ مستقيم﴾ حينما ينصّ القرآن الكريم على هذا وذاك يصحّ أن نفهم من هذا السؤال الإنكارى : ﴿هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراطٍ مستقيم﴾ معنىً بعيداً يفيده السّياق بدلالة الالتزام وهو كيف تسوّى الأصنام الّتى هي بمنزلة الأبكم الّذى لا يأتى خيرٌ منه أبداً وكيف تشبّه بالله تعالى العليم القدير ذى الجلال